الدور السياسي للقاضي كمال الدين أبو الفضل الشهرزوري (٥٣٠-٥٧٢هـ/١١٣٥-١١٧٦م)

د. منال محمد السيد عبد المجيد
مدرس بكلية الآداب جامعة بني سويف

أدى القاضي كمال الدين الشهرزوري دورًا كبيرًا في المجالين العلمي والديني، وقد تناول الحديث عن ذلك العديد من الكتاب، لكن الدور ا لذي أغفل ولم يتحدث عنه أحد بشيء من التفصيل هو دوره السياسي، فالمعروف أن هذا الرجل أدى دورًا هامًا في مجال السياسة، وخاصة أنه كان مقربًا من حكام بلاد الشام والعراق. ويتمثل هذا الدور في عدة مجالات، أولاً دوره في دولة عماد الدين زنكي، فقد اعتمد السلطان عماد الدين زنكي اعتمادًا كبيرًا على القاضي كمال الدين الشهرزوري، حيث ولاه عماد الدين زنكي قضاء الموصل، وأصبح قريبًا منه في كثير من الأعمال الهامة وعهد إليه بالمهام الصعبة، فلم يوجد شيئًا في الدولة يخرج عنه على حد قول الإسنوي "[١].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما القاضي كمال الدين الشهرزوري فهو: أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبدالله بن أبي أحمد القاسم الشهرزوري، الملقب كمال الدين الفقيه الشافعي، ولد سنة ٤٨٢هـ/١٠٩٨م بالموصل، وتفقه ببغداد على يد أسعد الميهني، وسمع الحديث من أبي البركات محمد بن خميس الموصلي[٢].

استطاع أن يجمع بين الفقه والأدب والشعر، مما يدل على مدى علمه وثقافته، لذلك وصف بأنه فقيه أديبٌ شاعرٌ كاتبٌ فكه المجالسة[٣].

فكتب العديد من أبيات الشعر التي تدل على حسه المرهف، فقد ذكر الكاتب عماد الدين الأصفهاني وغيره من المؤرخين العديد منها، على سبيل المثال :

ولقد أتيتك والنجوم رواصد والفجر وهم في ضمير المشرق
وركبت م الأهوال كل عظيمة شوقًا إليك لعلنا أن نلتقي[٤]

وغيرها من أبيات الشعر الرائعة التي تدل على أنه شاعرٌ مُتمكنٌ.

ويعتبر دوره السياسي في زمن عماد الدين زنكي من الأدوار الهامة في تاريخ هذه الفترة، حيث قام عماد الدين زنكي بإرساله إلى السلطان السلجوقي سنجر ابن ملكشاه عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م، وذلك لكي يتوسط لديه ويقنعه بتولية الراشد في الخلافة العباسية، ومن الواضح أن عماد الدين زنكي لم يرسل القاضي كمال الدين الشهرزوري في هذه المهمة الصعبة، إلا لعلمه الأكيد بما يتمتع به كمال الدين من حسن تصرف ولباقة وقدرة على الإقناع.

ويحدثنا التاريخ أنه كان يلي الخلافة في تلك الفترة الخليفة المقتفي بالله العباسي (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٦-١١٦٠م)[٥]، مما يجعلنا نتساءل عن السبب الذي دفع زنكي إلى الاهتمام بتولية الراشد الخلافة بدلاً من المقتفي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الجدير بالذكر أنه في عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م وصل السلطان مسعود بن ملكشاه إلى بغداد، وضايق الخليفة الراشد بالله، وكان معه عماد الدين زنكي، وعندما طال المقام بها ولم ينالوا شيئا، عاد عماد الدين إلى الموصل، أما السلطان مسعود فبقى ببغداد، الأمر الذي ضايق الراشد، وعلم أنه لا طاقة له بالمقام معه، فذهب إلى الموصل واستنجد بعماد الدين، في نفس الوقت أقام مسعود الخليفة المقتفي بأمر الله في الخلافة وبايعه[٦].

على أية حال فما أن وصل القاضي كمال الدين إلا واستقبل في دار السلطنة استقبالاً حافلاً، واكرامًا زائدًا، وبدأ يتحدث في أمر الراشد، إلا أنه عندما وصلته رسالة من الخليفة المقتفي يعاتبه على الامتناع عن البيعة له، وأنها من حقه، فما كان من القاضي كمال الدين إلا أن غير رأيه وتصرف من تلقاء نفسه، ويقنع السلطان بالبيعة للخليفة المقتفي. وفي ذلك يقول ابن الأثير : " وقيل لي في أمر البيعة فقلت إن الراشد له في

أعناقنا بيعة، ولا يجوز النكث إلا بما يوجب خلعه، وأنا فقيه، لا يجوز لي فعل ما ينافي الشرع، فيثبتون ما يوجب خلعه حتى أخلعه، وأبايع عني وعن صاحبي فلما سمعوا هذا احضروا المحضر المذكور، فلما رآه وشهد به الشهود، خلع الراشد وبايع المقتفي لأمر الله"(٧).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى المكانة الكبيرة السامية التي تمتع بها القاضي كمال الدين في ذلك الوقت، حيث استطاع أن يقنع السلطان بإقرار المقتفي في الخلافة بذكائه وقدرته على الاقناع.

والسؤال هنا ماذا كان موقف زنكي مما حدث ؟

لم يكن أمام زنكي، تحت ضغط الأحداث السياسية والعسكرية، إلا أن يتخلى عن الخليفة الراشد، وانحاز إلى المقتفي الذي كافأه بأن أقطعه بعض أملاكه وزاد ألقابه(٨).

كذلك لم يجد عماد الدين زنكي أفضل من القاضي كمال الدين لكي يرسله رسولاً إلى السلطان مسعود بن محمد ملكشاه، عندما وصلت حملة الروم والفرنج عام ٥٣٤هـ/ ١١٣٨م إلى بلاد الشام، للقضاء على زنكي وإجباره على رفع الحصار عن حصن بارين، إلا أن الحملة فشلت في تحقيق هدفها(٩).

من أجل ذلك قرر كل من الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين والصليبيون عام ٥٣٦هـ/١١٣٨م) قصد بلاد المسلمين، ومحاصرتهم، لعلهم يحققون نجاحًا يمحو أثر فشلهم في رفع الحصار عن بارين، وبالفعل وقع اختيارهم على مدينة حلب، فزحفوا إليها بحشود كثيرة، أفزعت المسلمين في ذلك الوقت، وضربوا الحصار عليها بالفعل، وفي ذلك يقول ابن الأثير " ونازلوا مدينة حلب وحصروها، وهم في جمع لم يشاهد الناس مثله كثرة"(١٠).

فما كان من عماد الدين زنكي،عندما علم بحصار حلب إلا أن نزل بالقرب منهم ومنع عنهم الميرة، وأخذ يحفظ أطراف البلاد حتى لا ينتشر العدو فيها ويغيروا عليها، ولم يحاول زنكي أن يدخل معهم في حرب مباشرة،لأنه لم يفضل أن يخاطر بالمسلمين(١١).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ذلك الوقت العصيب أخذ زنكي يفكر فيما يفعله، أمام هذه الحشود الكثيرة، فهداه تفكيره إلى الاعتماد على القاضي كمال الدين الشهرزوري، لما عرف عنه من رجاحة العقل وسداد الرأي وحسن التصرف، حيث أرسله رسولاً إلى السلطان مسعود، ليعرفه بحقيقة الحال وكثرة عدد العدو، المحاصرين لمدينة حلب، ويطلب منه النجدة وإرسال العساكر[١٢].

إلا أن القاضي كمال الدين تخوف من أن تخرج البلاد من أيدي عماد الدين، إذا استجاب السلطان مسعود لطلب النجدة وأرسل إليه العساكر، فمن الممكن أن يطمع مسعود في حلب ويمتلكها، فما كان من عماد الدين إلا أن رد على القاضي كمال الدين ردًا يدل على الحكمة والعقل اللذين اشتهر بهما عماد الدين زنكي، حيث فضل أن يمتلك السلطان مسعود مدينة حلب بدلاً من أن يمتلكها البيزنطيون والصليبيون.

وقد ذكر المؤرخون مدى تخوف القاضي الشهرزوري من السلطان مسعود، فقال القاضي لعماد الدين حين أرسله: أخاف أن تخرج البلاد من أيدينا ويجعل السلطان هذا حجة علينا، وينفذ العساكر، فإذا توسطوا البلاد ملكوها ". فقال عماد الدين " إن هذا العدو قد طمع في البلاد، وإن أخذ حلب لم يبق بالشام إسلام، وعلى كل حال فالمسلمون أولى من الكفار "[١٣].

وبعد هذا الرد الصائب من عماد الدين زنكي، خرج القاضي إلى بغداد لمقابلة السلطان مسعود وتبليغه رسالة عماد الدين زنكي، إلا أن السلطان مسعود لم يهتم بالأمر كثيرًا، واكتفى بأن وعد القاضي كمال الدين بإرسال عساكر لنجدة حلب، ولكنه لم ينفذ وعده[١٤].

وهنا تظهر حكمة وحسن تصرف القاضي كمال الدين الشهرزوري، لكي يجبر السلطان مسعود على تنفيذ وعده بسرعة لنجدة حلب، قبل أن يستولى عليها البيزنطيون والصليبيون.

فأسرع القاضي باستخدام الحيلة، حيث أعطى أحد الفقهاء في بغداد مبلغًا كبيرًا من المال، وطلب منه أن يفرق هذه الأموال على جماعة من أوباش بغداد، ويتفق معهم على أن يحضروا بالجامع يوم الجمعة ويستغيثوا بصوت واحد: " وا إسلاماه! وا دين محمداه !". ثم يخرجوا من الجامع يقصدون دار السلطان مسعود مستغيثين(١٥).

ولم يكتف القاضي كمال الدين بفعل ذلك، بل فعل نفس الشيء مع فقيه آخر في جامع السلطان، وكان هدفه من ذلك إثارة الناس على السلطان مسعود، ومطالبته بخروج العساكر لإبقاء مدينة حلب ورفع الحصار عنها، الأمر ا لذي يجعل السلطان مسعود في مأزق، ويضطر مع إثارة الناس إلى إرسال العساكر والوفاء بوعده للقاضي كمال الدين الشهرزوري(١٦).

وقد شرح المؤرخون هذه الحادثة بالتفصيل على هذا النحو: " فلما كانت الجمعة وصعد الخطيب المنبر بجامع القصر قاموا وأنت معهم واستغاثوا بصوت واحد: " وا إسلام ! وا دين محمداه !" ويخرجون من الجامع ويقصدون دار السلطان مستغيثين، ثم وضعت إنسانًا آخر فعل ذلك في جامع السلطان، فلما كانت الجمعة وصعد الخطيب المنبر وقام ذلك الفقيه وشق ثوبه وألقى عمامته عن رأسه وصاح، وتبعه ذلك النفر بالصياح والبكاء، فلم يبق في الجامع إلا من قام وبكى، وبطلت الخطبة، وسار الناس كلهم إلى دار السلطان، وقد فعل أولئك الذين بجامع السلطان مثلهم، واجتمع أهل بغداد وكل من بالعسكر عند دار السلطان يبكون ويصرخون ويستغيثون، وخرج الأمر عن الضبط، وخاف السلطان في داره "(١٧).

وهكذا نجحت خطة القاضي كمال الدين رسول عماد الدين زنكي، حيث طلب السلطان مسعود مقابلته فحضر إليه وهو خائف مما حدث، ولكنه في الوقت نفسه عزم على قول الصدق والحق، وبمجرد أن حضر سأله السلطان مسعود عن سبب هذه الفتنة، فرد عليه كمال الدين بأن الناس فعلوا ذلك خوفًا من الفتنة والشر، لأن الصليبيين إذا استولوا على مدينة حلب سوف يسيرون بعد ذلك إلى بغداد عن طريق الفرات والبر، دون

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن يكون أمامهم أي عائق يصدهم عن بغداد.

ومن الجدير بالملاحظة أن القاضي كمال الدين بالغ في تخويف السلطان مسعود من حدوث ذلك، الأمر الذي جعل السلطان يقرر سرعة خروج العساكر التي طالب بها كمال الدين، على أن تكون مجهزة بالإمدادات والمؤن الكافية، بشرط أن يعمل القاضي كمال الدين على تفريق هؤلاء العامة المجتمعين خارج دار السلطان مسعود، وبالفعل خرج إليهم الشهرزوري وعرفهم بما قرره السلطان مسعود، وأمرهم بالعودة من حيث أتوا، ففعلوا ذلك، وهدأت الأمور على هذا النحو(١٨).

الأمر الذي يدل على مقدرة القاضي كمال الدين على إيجاد الحل المناسب لأي مشكلة تواجه بالحكمة والعقل والذكاء.

على أية حال اختار كمال الدين عشرة آلاف فارس من أفضل العسكر لدى السلطان مسعود، ثم كتب إلى عماد الدين زنكي يعرفه بأنه نجح في مهمته، ولم يبق أمامه سوى أن يسير بالعساكر إلى مدينة حلب لإنقاذها، فأمره عماد الدين بسرعة السير والحث على ذلك، وما إن عبرت العساكر الجانب الغربي، إذ برسول من عماد الدين زنكي يصل ويخبر القاضي كمال الدين بأن البيزنطيين والصليبيين قد رحلوا عن حلب خائبين لم ينالوا منها شيئًا، ويأمر القاضي كمال الدين بترك العساكر. لأن عماد الدين لم يعد يحتاج إليهم في شيءٍ، إلا أن السلطان مسعود عندما علم بذلك الأمر أصر بشدة على خروج العساكر مع القاضي كمال الدين للجهاد وقصد بلاد الفرنج وأخذها، وكان هدفه الحقيقي من ذلك أن تصل عساكره إلى هذه البلاد وتمتلكها(١٩).

أصبح القاضي كمال الدين الشهرزوري في حيرة من أمره: كيف يستطيع أن ينفذ أمر عماد الدين زنكي مع إصرار السلطان مسعود على خروج عساكره معه ؟

فما كان منه إلا أن أخذ يتشاور مع الوزير وأكابر الدولة، حتى أقنعهم بعودة العساكر إلى البر الشرقي(٢٠).

وهنا ظهر مدى بُعد نظر القاضي كمال الدين الشهرزوري وحكمته وفطنته لما يدور

حوله، حيث استطاع أن يكشف مكنون نفس السلطان مسعود، وبحسن تصرفه في الموقفين في توفير الجيش عند الاحتياج له، وصرفه عند انتفاء الحاجة إليه، وهذا أنقذ بلا شك عماد الدين من مأزق خطير كان من الممكن أن يقع فيه إذا وصلت عساكر السلطان مسعود إلى الشام في ذلك الوقت، بعد رحيل البيزنطيين والصليبيين[٢١].

وقد أشار ابن الأثير إلى حسن تصرف القاضي كمال الدين مع السلطان مسعود بقوله : " فانظر إلى هذا الرجل الذي هو خير من عشرة آلاف فارس "[٢٢].

فقد استطاع كمال الدين الشهرزوري بحنكته وذكائه أن يبعد عن عماد الدين أطماع السلطان مسعود، من أجل ذلك كانت لكمال الدين مكانة خاصة عند عماد الدين زنكي[٢٣].

ولحسن تصرف كمال الدين في أي شيء يوكل إليه؛ نجد عماد الدين يستعين به في عام ٥٣٤هـ/١١٣٩م، عندما سار عماد الدين زنكي لمحاصرة مدينة دمشق، وكان يتولاها في ذلك الوقت الأمير جمال الدين محمد بن بوري بن طغتكين، ولكنه لم يكن له من الأمر شيئٌ، فكان المتغلب عليه معين الدين أنر مملوك جده طغتكين[٢٤].

من الجدير بالذكر أن الظروف التي مرت بها دمشق في ذلك الوقت ساعدت زنكي على التدخل في شئون دمشق، وتتلخص في أن بهرام شاه، أخا جمال الدين بوري، عز عليه أن يتجاهله أنر بعد مقتل شهاب الدين، من أجل ذلك لجأ إلى مساعدة زنكي، في نفس الوقت الذي عز على زمرد خاتون – عروس زنكي – أن يقتل ولدها شهاب الدين، ويحل محله في حكم دمشق ابن ضرتها التي تزوجت أنر، فطلبت هي الأخرى من زنكي أن يتدخل لطلب الثأر[٢٥].

فعندما أيقن عماد الدين أن معين الدين أنر لن يسمح له بدخول مدينة دمشق، من أجل ذلك لجأ عماد الدين إلى الحيلة للاستيلاء عليها، وهنا لم يجد أفضل من القاضي كمال الدين يستعين به لثقته الكبيرة به، ولأنه اعتاد أن يوليه المهام الصعبة لحسن تصرفه، فأمره بمكاتبة جماعة من مقدمي أحداث ونظار دمشق، واستمالتهم وترغيبهم بالأموال والهدايا والمناصب الكبيرة، ففعل ذلك القاضي كمال الدين، واستطاع بحنكته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكائه أن يكسب الجميع إلى جانبه[٢٦].

حيث أجابه خلق كثير، واتفقوا معه على فتح أبواب دمشق وتسليمها إليه عندما يزحف عماد الدين إليها، ثم خرجوا متفرقين إلى كمال الدين الشهرزوري وجدد عليهم العهود.

وهكذا نجح القاضي كمال الدين في مهمته على أكمل وجه، وعلى الفور أرسل الشهرزوري إلى سيده عماد الدين يخبره بما توصل إليه من اتفاق، إلا أن عماد الدين رأى أنه من الصعب تنفيذ ذلك، لأن شوارع وطرق دمشق ضيقة، وإذا دخل العسكر إليها لا يتمكنون من القتال فيها، وربما كثر المقاتلون لهم والمحاربون، فيعجز عن مقاومتهم[٢٧]. لأنهم سوف يقاتلون على الأراضي والأسطح، وإذا دخل جيش عماد الدين زنكي إلى دمشق، فسوف يضطر إلى التفريق لضيق المسالك والطرق، وفي هذه الحالة سوف يطمع أهالي دمشق في الجيش وتكون الخسائر كبيرة، من أجل ذلك تراجع عماد الدين عن هذا العزم بشدة وحذر[٢٨].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا كان عماد الدين زنكي عهد إلى القاضي كمال الدين بهذه المهام الكبيرة والصعبة؛ التي لم يستطيع أحد أن يقوم بها إلا هو، لذكائه وفطنته وحنكته، يضاف إلى ذلك ثقة عماد الدين زنكي فيه.

فكان عماد الدين يصطحبه معه في أسفاره وحروبه، لرجاحة عقله وسداد رأيه ولمنزلته الكبيرة لديه.

فقد كان القاضي كمال الدين حاضرًا في عسكر عماد الدين زنكي، عندما حاصر عماد الدين قلعة جعبر عام ٥٤٠هـ/١١٤٧م، وظل مصاحبًا له ناصحًا ومشيرًا، حتى قتل عماد الدين على يد خادمه برتقش، قبل أن يستولى على قلعة جعبر عام ٥٤١هـ/١٩٤٧م[٢٩].

هكذا قام القاضي كمال الدين الشهرزوري بدور كبير وهام، في دولة عماد الدين زنكي، لا يمكن إغفاله، فلا عجب أن يمتدحه عماد الدين زنكي بأنه كان ذا الرأي والعقل،

وأجزل له العطاء اعترافًا منه بمكانته الرفيعة لديه. فمثلاً عندما قيل لعماد الدين: " إن هذا كمال الدين يحصل له كل سنة منك ما يزيد على عشرة آلاف دينار أميرية، وغيره يقنع منك بخمسمائة دينار، فقال لهم : بهذا العقل والرأي تديرون دولتي، إن كمال الدين يقل له هذا القدر، وغيره بكثير له خمسمائة دينار، فإن شغلاً واحدًا يقوم فيه كمال الدين خيرٌ من مائة ألف دينار "[٣٠].

وهذا الرد الصائب من عماد الدين يعتبر شهادة كبيرة للقاضي كمال الدين، لما يتمتع به من العقل وسداد الرأي، والخبرة، وأنه بالنسبة لعماد الدين كان العقل الراجح الذي يدبر به دولته.

مما يدل على المكانة السامية التي تمتع بها القاضي كمال الدين لدى عماد الدين زنكي. إلا أن هذه المكانة الرفيعة للقاضي كمال الدين الشهرزوري، عصر عماد الدين زنكي، لم تستمر ولو لحين بعد وفاة عماد الدين عام ٤٩١هـ/١١٤٧م، عندما تولى سيف الدين غازي ابن عماد الدين الأمر، ففي بداية حكمه فوض الأمور كلها إلى القاضي كمال الدين الشهرزوري، وأخيه تاج الدين أبو طاهر يحى، بالموصل وجميع ما يمتلكه، إلا أنه ما لبث أن تغير تجاههما، وأمر بالقبض عليهما عام ٥٤٢هـ/١١٤٨م، واعتقلهما بقلعة الموصل، ثم أحضر نعيم الدين أبا علي الحسن بن بهاء الدين، وهو ابن عم كمال الدين، وكان قاضي الرحبة، وولاه القضاء بالموصل وديار ربيعة بدلاً من كمال الدين[٣١].

ولكن نظرًا للمكانة السامية التي تمتع بها القاضي كمال الدين، عصر عماد الدين، أرسل الخليفة العباسي المقتفي بالله رسولاً من عنده ليشفع في كمال الدين الشهرزوري وأخيه، وبالفعل تم إخراجهما من الاعتقال، إلا أنهم ظلوا في بيوتهما وعليهما الترسيم[٣٢].

إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فبعد وفاة سيف الدين غازي عام ٥٤٤هـ/ ١١٥٠م، تولى مكانه أخوه قطب الدين مودود بن زنكي، وقام قطب الدين برفع الترسيم عن القاضي كمال الدين وأخيه، فحضروا إليه في الميدان بالموصل وعليهما ثياب العزاء، فعزياه عن أخيه، ثم عادا إلى بيوتهما بغير ترسيم، وعادوا مرة ثانية في الخدمة[٣٣]، فعاد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاضي كمال الدين لنفس المكانة التي تمتع بها من قبل.

ثم انتقل القاضي كمال الدين الشهرزوري، بعد ذلك، إلى خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي الذي أصبح يحكم بلاد الشام عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م "، فتمكن من الدولة النورية، فأصبح الحاكم المتحكم على حد قول أبى شامة "[٣٤]، فولاه قضاء دمشق عام ٥٥٥هـ/١١٦٥م، ونظر الأوقاف ونظر أموال السلطان، واستناب ابنه أبا حامد بحلب، وابن أخيه القاسم بحماه، وابن أخيه الآخر في قضاء حمص[٣٥].

فصار قاضيه ووزيره ومشيره، على حد قول ابن العماد[٣٦]. فيمكن القول إن كمال الدين الشهرزوري وصل إلى مكانة عالية، وأصبحت كلمته نافذة عصر نور الدين محمود " فلم يكن شيئًا من أمور الدولة يخرج من يده "، على حد قول ابن خلكان، فتحكم في أمور الولاية وشد الديوان وغير ذلك[٣٧]. وعلى هذا النحو تجلى دور القاضي كمال الدين الشهرزوري السياسي في زمن نور الدين محمود.

ونظرًا لعلو شأن القاضي كمال الدين الشهرزوري لدى السلطان نور الدين محمود، فقد أرسله رسولاً إلى الخليفة المقتفي عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م، وحمله رسالة مضمونها الخدمة للديوان، وما هو عليه من جهاد الكفار، وفتح بلادهم، كما يطلب من الخليفة تقليدًا بما بيده من البلاد: مصر والشام والجزيرة والموصل، وبما في طاعته، كديار بكر وما يجاورها مثل خلاط، وأن يعطي من الإقطاع سواد العراق ما كان لأبيه زنكي، وأن يسمح له ببناء مدرسة للشافعية، وغيرها من الأمور التي جاءت بالرسالة[٣٨].

ومن الجدير بالذكر أن الخليفة أكرم القاضي كمال الدين إكرامًا لم يكرم به رسولا قبله، وأجيب إلى كل ما التمسه[٣٩].

وقد أجيب إلى كل ذلك بفضل بلاغة ورجاحة عقل القاضي كمال الدين الشهرزوري، يضاف إلى ذلك أن الخليفة المقتفى أرسله رسولاً للإصلاح بين نور الدين محمود، وقلج أرسلان بن مسعود صاحب الروم[٤٠].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا دل ذلك على شيء، فيدل على مدى ثقة كلٍ من نور الدين والخليفة المقتفى في حكمة وذكاء وخبرة كمال الدين، فقد وصفه المؤرخون بأنه "عظيم الرياسة خبيرًا بتدبير الملك، لم يكن في بيته مثله ولا نال أحد منهم ما ناله من المناصب"(٤١). " فتمكن في الأيام النورية تمكنًا بالغًا "(٤٢).

فولاه نور الدين محمود مهامًا كثيرة في دولته، منها: الإشراف على المدارس والمساجد والأوقاف والحسبة، وجميع الأمور الدينية والشرعية، فكان صاحب القلم والسيف في وقت واحد(٤٣).

كما عهد إليه ببناء الأسوار والبيمارستان(٤٤)، ونظر الجامع بدمشق، فأصلح أموره، وفتح مشاهده الأربعة(٤٥).

ولم تقتصر وظائف ومهام القاضي كمال الدين عند هذا الحد، بل نجده يتولى شحنكية دمشق، وولي فيها كمال الدين بعض غلمانه(٤٦). وذلك عندما أسقط نور الدين الجهات المحظورة والمكوس – غير السجن – قال للقاضي كمال الدين : " انظر أنت في ذلك فأحمل الأمور فيها على الشريعة" ولم يكون نور الدين يحاسب القاضي كمال الدين على شيء من الوقوف، ويقول : " أنا قد قلدته أن يتصرف يها بما يجب، ثم ما فضل من مصاريفها وشروط واقفيها بصرف من بناء الأسوار وحفظ الثغور "(٤٧). وهذا إن دل على شيءٍ إنما يدل على مدى ثقة نور الدين في القاضي كمال الدين لحسن تصرفه.

وكان القاضي كمال الدين الشهرزوري يقوم بعمل القضاة على أكمل وجه، لا يجامل أحدًا على حساب أحد، يحكم بين المختصمين بالعدل، حتى ولو كان المختصم نور الدين نفسه.

فقد حدث أن اختصم أحد الأشخاص نور الدين محمود نفسه، وحضر نور الدين أمام القاضي الشهرزوري وبدأ يستمع إلى كلٍ من الطرفين المختصمين، وانتهت المحاكمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بإنصاف نور الدين، فلم يثبت عليه شيئ يدينه.

حقيقة إن عدل نورالدين محمود هو الذي سمح للقاضي الشهرزوري بمحاكمة نور الدين، فقد طلب منه أن يتبع معه مثل ما يتبعه مع غيره : " إني قد جئت للمحاكمة فاسلك معي مثل ما تسكله مع غيري "(٤٨).

ونظرًا لقرب القاضي كمال الدين من نور الدين، وشدة تأثيره عليه، فقد طلبت زوجة نور الدين، وهي الخاتون بنت معين الدين، وساطة القاضي الشهرزوري لكي يقنع زوجها نور الدين بزيادة النفقة الخاصة بها، وبالفعل عرض القاضي هذا الأمر على نور الدين، وحاول أن يقنعه بذلك، ولكنه فشل لأن نور الدين الذي امتاز بالعدل رفض هذا الأمر قائلاً : " قد فرضت لها ما يكفيها والله لا أخوض جهنم بسببها وهذه الأموال ليست لي وإنما هي للمسلمين وأنا خادمهم فلا أخونهم فيها، ولي بحمص ثلاثة دكاكين اشتريتها من الغنائم قد وهبتها إياها، وكان يحصل منها قدر يسير "(٤٩).

ولم يقتصر دور القاضي كمال الدين عصر نور الدين محمود عند هذا الحد، بل كان يقوم بترشيح الموظفين الأكفاء لنور الدين ويعرفه بهم، عام ٥٦٢هـ/١١٦٦م رشح العماد الأصفهاني ليعمل في ديوان إنشاء السلطان نور الدين، وذلك نظرًا لما بلغه من النبوغ في العلم، فعندما جاء إلى دمشق أنزله كمال الدين بالمدرسة النورية الشافعية، والتي نسبت إليه بعد ذلك لأن نور الدين ولاه إياها عام ٥٦٧هـ/١١٧١م. ومنذ ذلك الوقت أصبح له شأن كبير في دولة نور الدين، ومن بعده صلاح الدين الأيوبي الذي اتخذه كاتبًا له لا يفارقه في أسفاره(٥٠).

ومن الجدير بالذكر أن عماد الدين كتب قصيدة مدح في نور الدين محمود، قام القاضي كمال الدين بعرضها على نور الدين، ومطلعها :

لو حفظت يوم النوى عهودها ... ما مطلت بوصلكم وعودها

مؤيد أموره بعزمه ... من السموات العلا تأييدها(٥١)

وإذا كان القاضي كمال الدين الشهرزوري لعب دورًا كبيرًا في دولة عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود، ووصل عندهم إلى أعلى مكانة، وحاز على ثقتهم واحترامهم، فإنه لعب أيضًا دورًا يحسب له بعد وفاة نور الدين عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م، حيث اتفق مع كبار الأمراء على أن يتولى الأمر الصالح إسماعيل بن نور الدين " وتحالف معهم على أن يكون أيديهم واحدة وعزائمهم متعاقدة "(٥٢).

ونظرًا لبُعد نظر القاضي كمال الدين؛ فقد أشار على الأمير شمس الدين بن المقدم، وهو القائم على تربية الصالح إسماعيل وأتابكيته – وغيره من كبار الأمراء، بالرجوع إلى مشورة صلاح الدين الأيوبي، عندما حدث صراع بين الأمراء على تربية الصالح إسماعيل، فقال لهم " قد علمتم أن صلاح الدين صاحب مصر، وهو من أصحاب نور الدين ونوابه، والمصلحة أن يتشاور في الذي نفعله، ولا نخرجه من بيننا، فيخرج عن طاعتنا ويجعل ذلك حجة علينا، وهو أقوى منا لانفراده بملك مصر "(٥٣).

وبالرغم من هذه النصيحة الهامة، التي نصح بها القاضي كمال الدين الأمراء في الشام، إلا أنهم لم يستمعوا إليها، بل إنهم خافوا من صلاح الدين إذا تدخل في هذا الصراع سوف يدخل البلاد ويخرجهم منها(٥٤).

الحقيقة أن القاضي كمال الدين كان بعيد النظر صائب الرأي فيما قاله، لأن صلاح الدين كان بالفعل أذكى وأقوى أمراء نور الدين محمود، في ذلك الوقت، وكان القاضي كمال الدين يعلم أن صلاح الدين عندما يعرف بموت سيده نور الدين وتصارع الأمراء على أملاكه، سوف يسير إليهم ويستخلص البلاد لنفسه، وهو ما حدث بالفعل(٥٥).

فمجرد أن علم صلاح الدين بوفاة نور الدين؛ لم يجد أفضل وأعقل من القاضي كمال الدين لكي يرسل له رسالته يقول فيها : " لو أن نور الدين علم أن فيكم من يقوم مقامي، أو يثق به مثل ثقته بي، لسلم إليه مصر التي هي أعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد إلى أحد بتربية ولده والقيام بخدمته غيري، وأراكم قد تفردتم بمولاي وابن مولاي دوني، وسوف أصل إلى خدمته، وأجازي إنعام ولده بخدمة يظهر أثرها

وأقابل كلاً منكم على سوء صنيعه في ترك الذب عن بلاده "[٥٦].

هكذا تحقق ما كان يخاف منه القاضي كمال الدين الشهرزوري، والذي حذر منه الأمراء، لأن صلاح الدين غضب غضبًا شديدًا من عدم استعانة الأمراء ومحاولاتهم إبعاده عن الأحداث.

وكما تسلم القاضي كمال الدين رسالة صلاح الدين الأيوبي، تسلم رسالة أخرى من الأمير شمس الدين علي بن الداية، عندما أراد أن ينقل الملك الصالح بن نور الدين إلى حلب، فأرسل إلى القاضي كمال لعلو مكانته وسداد رأيه، لكي يقنعه بأن من المصلحة تنفيذ ذلك، حتى لا يستطيع سيف الدين غازي بن قطب الدين بن زنكي؛ الاستيلاء على مدينة حلب وغيرها من البلاد الجزرية، إلا أن الأمراء رفضوا أن يرسلوا الملك الصالح إلى حلب[٥٧].

على أية حال: عزم صلاح الدين على المسير إلى دمشق لتأديب أمراء نور الدين محمود.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن الجدير بالذكر: أن أصحاب القاضي كمال الدين الشهرزوري عندما علموا بقرب وصول صلاح الدين؛ توقعوا أن صلاح الدين سوف ينتقم من القاضي الشهرزوري بسبب العداء الذي كان بينهما أيام نورالدين محمود، عندما كان صلاح الدين متولي الشحنكية بدمشق، فكان كمال الدين يكسر أوامره ويعترض عليه في أموره، لتوخي كمال الدين الأحكام الشرعية[٥٨]، وفي ذلك يقول سبط ابن الجوزي : " وكانت بينهما مضايقة وكل واحد ينقص حكم الآخر "[٥٩].

يضاف إلى ذلك أن القاضي الفاضل كاتب صلاح الدين، كان يريد أن يتخلص منه، لذلك أسرع يجمع الشكاوى والمرافعات التي نسبت إلى كمال الدين لكي يسلمها إلى صلاح الدين وهو في طريقه إلى دمشق[٦٠].

وعندما وصلت هذه الأخبار إلى أصحاب كمال الدين أشاروا عليه بضرورة الخروج لمقابلة صلاح الدين والقاضي الفاضل، إلا أن كبرياء وعزة القاضي كمال الدين نفسه

جعلته يرفض هذا الأمر، لأنه تعود منذ أيام نور الدين محمود أن يتردد الناس إليه وليس العكس. وفي ذلك يقول السبكي: " فلما كانت ليلة دخول السلطان دمشق، تحزب أصحاب كمال الدين عليه، وقالوا : هذا السلطان من الأصل لا يحبك، ومدبر دولته القاضي الفاضل كذلك، وأعداؤك قد تحزبوا عليك، وما كنت تعرفه من الرفعة قد زالت بزوال دولة نور الدين"(٦١).

ثم أشاروا عليه بضرورة مقابلة القاضي الفاضل الذي وصل إلى دمشق قبل السلطان صلاح الدين، وألحوا عليه في ذلك إلحاحًا كبيرًا، الأمر الذي جعل القاضي كمال الدين يضطر إلى مقابلة القاضي الفاضل، وهو مرغم على ذلك، إلا أنه كان متوقعًا أنه بمجرد أن يصل إلى دار القاضي الفاضل، فإنه سيرفض مقابلته، وبالفعل عندما وصل القاضي كمال الدين الشهرزوري، وطلب مقابلة القاضي الفاضل، ظل منتظرًا طويلاً على بابه حتى يؤذن له. ثم بعد ذلك أخبره طواشي القاضي الفاضل أنه نائم ولن يقابل أحدًا، فعاد القاضي كمال الدين إلى داره وهو في أسوأ حال(٦٢).

ولم يكتف القاضي الفاضل بعدم مقابلة كمال الدين، بل عندما خرج لاستقبال صلاح الدين أراد أن يوغر قلب صلاح الدين على الشهرزوري، إلا أن صلاح الدين لم يستمع إلى كلام القاضي الفاضل، ورد عليه قائلاً : " يا خوند، هذا رجل عظيم في العلم والسؤدد وأفعال نورالدين عند الناس مسددة، وكان منها تعظيم هذا الرجل، وغالب من ينسب إليه كذب، وأما ما ذكر من كثرة دخله، فهو وإن كثر دون كثير من أمراء المملكة، ولعله أحق ببيت المال، وأمواله من كثير منهم، فالذي أراه تعظيمه، وكذا"(٦٣).

وهذا دلالة على المكانة الرفيعة التي تمتع بها القاضي كمال الدين الشهرزوري عصر نور الدين، والتي جعلت صلاح الدين يثني عليه ويعظمه.

وما أن وصل صلاح الدين إلى دمشق حتى مشي إلى دار القاضي كمال الدين زائرًا ومشيرًا، ودخل عليه وجلس معه، وقال يا كمال الدين: لما كنت في الشحنكية قد كانت بيننا هنات ومشاحنات، فقد جئت إليك لأزيل ما في خاطرك من الوهم وأعرفك أن ما في

قلبي لك تكزه قطب نفسًا فالأمر أمرك والبلد بلدك[٦٤].

الحق أن كلاً من صلاح الدين والقاضي كمال الدين تناسى ما كان بينهما أيام نور الدين، وقام القاضي بدور كبير في مساعدة صلاح الدين في فتح دمشق، أعانه وفتح له أبوابها، لأنه كان " الحاكم النافذ حكمه، والصائب سهمه، الثابت نجمه "، على حد قول أبو شامة[٦٥].

ولم ينس صلاح الدين وقوف القاضي كمال الدين بجانبه، فبمجرد أن دخل دمشق أبقى عليه في منصب القضاء، وأكرمه واحترمه واستشاره وعظمه، كما أبقى على ابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزوري، واستمر في خدمة صلاح الدين وأقطعه وأحسن إليه واستمر في صحبته[٦٦].

ومن الجدير بالذكر أن القاضي كمال الدين نال عصر صلاح الدين ما لم ينله أحد من الفقهاء من التقدم ونفاذ الكلمة، وسارت له اليد البيضاء عند صلاح الدين[٦٧]. واستمر يتمتع بهذه المنزلة الرفيعة حتى توفي يوم الخميس السادس من المحرم عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م بدمشق[٦٨]. وكان حاضرًا عنده ابن أبي عصرون فتولى أمره، فخرج في جنازته، ماشيًا كما حضر الأمراء ومشوا في جنازته مثل سيف الإسلام وتقي الدين عمر وشمس الدولة وغيرهم، وصلى عليه بجامع دمشق، وعندما توفى كان قد تصدق بجميع ما كان عنده، وأوصى بماله وأوقف أوقافًا كثيرة، على أبواب البر وقيل إنه لم يكن له كفن فكفّن في أحرامه[٦٩].

ودفن في اليوم التالي بجبل قاسيون وكان عمره ثمانين سنة وأشهرًا[٧٠].

ومن الجدير بالذكر أنه قبل موته أوصى بالقضاء من بعده لابن أخيه أبى الفضائل القاسم بن يحيى بن عبدالله الملقب ضياء الدين، فنفذ السلطان صلاح الدين وصيته، وفوض القضاء بدمشق إلى ضياء الدين؛ احترامًا لرغبة كمال الدين ولمكانته السامية عند السلطان[٧١].

وقد أثنى عليه كثير من المؤرخين منهم: سبط ابن الجوزي الذي قال عنه:

"كان فاضلا جوادًا سمحًا دينًا عفيفًا ذا مروءة طاهرة وصدقات داره وافرة وبر واصل"(٧٢).

كما قال عنه ابن الأثير: " كان جوادًا فاضلاً رئيسًا ذا عقل ومعرفة في تدابير الدول "(٧٣).

كذلك نجد ابن خلكان يقول عنه إنه كان : " شهمًا جسورًا كثير الصدقة والمعروف وقف أوقاف كثيرة بالموصل ونصبين ودمشق "(٧٤).

أما الأصفهاني فقال عنه : " كان بارًا بالأبرار مختارًا للأخبار، وقد قواه نور الدين رحمه الله وقلده الحكم في أيامه وسدد مرامي مرامه فكان في الأيام النورية الحاكم المطلق "(٧٥).

وقد ترك القاضي كمال الدين عدة منشآت كان قد أنشأها قبل وفاته، منها المدرسة التي بناها بالموصل لدراسة المذهب الشافعي(٧٦). كذلك كانت له مدرستان بنصبين(٧٧).

يضاف إلى ذلك أنه بنى رباطًا في المدينة المنورة(٧٨) كما أحدث الشباك الكمالي الذي يصلي فيه نواب السلطنة عصر نور الدين محمود(٧٩).

كما سن دار العدل لتنفيذ أحكامه بحضرة السلطان حتى لا يبقى عليه مغمز ولا ملمز لذوي الشان فيما دبره "، على حد قول الأصفهاني(٨٠).

وكان القاضي كمال الدين الشهرزوري معروفًا بكرمه الشديد، حيث أوقف قرية الهامة على الشيخ أحمد بن قدامة والد الشيخ ابن عمر، والنصف الآخر على الأساري: " فقيل إنه لما قدم أحمد بن قدامة والد الشيخ ابن عمر إلى دمشق خرج إليه القاضي كمال الدين ومعه ألف دينار فعرضها عليه فلم يقبلها، فاشترى بها قرية الهامة ووقف نصفها على الشيخ أحمد والمقادسة ونصفها على الاساري "(٨١). كذلك كان يهب بالآلف دينار فما فوقها(٨٢).

رحم الله الشيخ كمال الدين الشهرزوري لكل ما قام به من أعمال هامة تحسب له.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش :

(١) طبقات الشافعية، ج٢، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت، طبعة أولى ١٩٨٧م، ص١٨.

- عماد الدين زنكي: ابن قسيم الدولة أق سنقر التركي، تولى شحنكية بغداد آخر دولة المستظهر بالله ثم انتقل إلى الموصل، وقام بتربية فرخشاه الملقب خفاجي ابن السلطان محمود، ولهذا قيل له أتابك، استطاع أن يملك الموصل وحلب وحمص إلا أنه قتل على يد خادمه برتقش عام ٥٤١هـ. للمزيد عن عماد الدين زنكي ودوره في توحيد الجبهة الإسلامية، انظر: ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ٤ أجزاء، تحقيق: سامي الدهان، دمشق ١٩٥٤م، ج٢، ص٢٤١-١٤٦؛ انظر أيضا : حامد زيان : حلب في العصر الزنكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٥-٤٠.

- الموصل: قال عنها ياقوت الحموي: فهي باب العراق ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان، وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات. معجم البلدان، ٥ أجزاء، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، لبنان، د.ط، ج٥، ص٢٥٨-٢٦٠.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، ج٤، دار الصادر، بيروت، ص٢٤١؛ السبكي: طبقات الشافعية، ١٠ أجزاء، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود الطناحي، ج٦، ص١١٨،١١٧.

- أسعد الميهني : نسبة إلى ميهنة قرية بقرب طوس بن سرخس وأبيور. تفقه بمرو وشاع فضله وبعد صيته وولى نظامية بغداد مرتين ثم توجه من بغداد رسولاً إلى همذان وتوفى بها عام ٥٢٧هـ. ابن العماد الحنبلي: شذارت الذهب في أخبار من ذهب، ٦ أجزاء، بيروت د.ت، ج٤، ص٨٠.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٢؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٤٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٣٣ جزء، ج٣، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت لبنان، طبعة أولى ٢٠٠٠م، ص٢٦٦؛ الاسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت، طبعة أولى ١٩٨٧م، ص١٨.

(٤) الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ٣ أقسام، ق٢، خاص بشعراء الشام، تحقيق: أحمد أمين، شوقي ضيف، ص٣٢٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٣؛ الصفدي: الوافي،

ج٣، ص٢٦٧.

- العماد الأصفهاني: ولد عام ٥١٩هـ بأصفهان وتفقه ببغداد على المذهب الشافعي، وأتقن الفقه والعربية، تفوق في الكتابة والترسل والنظم، وخدم في ديوان الإنشاء وترقى إلى أعلى المراتب وعظمت مكانته، وصنف العديد من المؤلفات منها الفتح القسي، وخريدة القصر، توفى عام ٥٩٨هـ. للمزيد عنه انظر : الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبيح، تقديم حامد زيان، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٩-٢٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٣٣٢-٣٣٣؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤، ص١٤٧-١٥٢.

(٥) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبدالقادر احمد طليمات، القاهرة د.ت، ص٥٤؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٦، ٢٥٧.

- سنجر أبو الحارث سنجر ملكشاه بن ألب أرسلان بن سلجوق سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر، تلقب بالسلطان الأعظم معز الدين، ولد عام ٤٧٩هـ، بسنجار ولذلك سمي سنجر نسبة إلى المدينة، تولى الحكم عام ٤٩٠هـ نيابة عن أخيه بركياروق ثم استقل بالحكم عام ٥١٢هـ، وتوفى ام ٥٥٢هـ بمدينة مرو ودفن بها. للمزيد من التفاصيل عنه، انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢٧، ٤٢٨.

- الراشد وهو أبو جعفر المنصور بن المسترشد بالله بويع بالخلافة عام ٥٢٨هـ وتلقب بالراشد بالله، وفي عام ٥٣٠هـ طلب مساعدة عماد الدين زنكي، عندما اختلف العساكر السلطانية على السلطان مسعود. تفاصيل ذلك انظر: ابن الأثير: الباهر، ص٥١-٥٣.

- الخليفة المقتفي لأمر الله أبو عبدالله محمد بن المستظهر بالله العباسي، أمير المؤمنين، كان عالمًا فاضلاً حليمًا شجاعًا، خليقًا للإمارة، كان لا يجرى في دولته أمر وإن صغر إلا بتوقيعه، استمر في الخلافة خمسًا وعشرين سنة، وفي أيامه عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ولم يبق لها منازع، توفى عام ٥٥٥هـ. للمزيد من التفاصيل عنه، انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص١٧٢، ١٧٣.

(٦) للمزيد من التفاصيل، انظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، دمشق ١٩٠٨م، ص٢٥٦، ٢٥٧؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عطا، ١٩ جزء، لبنان ١٩٩٢م، ج١٧، ص٣٠٠-٣١٣؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليمات، القاهرة د.ت، ص٥١-٥٥.

(٧) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص٥٤؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،

ص٢٥٦، ٢٥٧.

(٨) علي محمد الصلابي: عصر الدولة الزنكية بقيادة نورالدين محمود، بيروت ٢٠١٠م، ص٤٧.

(٩) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٢؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، جزءان، دار ا لجبل، بيروت د.ت، ج١، ص١٣٠-١٣٢.

من الجدير بالذكر أن الصليبيين بالشام عندما علموا بحصار الملك فولك في حصن بعرين أرسلوا طالبين النجدة من الإمبراطور البيزنطي والغرب الأوربي. للمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة، انظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جزءان، ج١، الطبعة السابعة، ١٩٩٧م، ص٤٥٥-٤٥٧؛ محمد مرسي الشيخ: عصر الحروب الصليبية، الإسكندرية، ص٢١٦-٢١٩؛

Steven Son (W.B): The CRUSades. In the East, Bei Rat 1966, p. 137-139.

- السلطان مسعود: غياث الدين أبو الفتح بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن جعفر السلجوقي، رباه بالموصل الأمير مودود ولما تمكن أخوه السلطان محمود، طمعه جوس بك في السلطنة، فدخل في صراع مع أخيه انتهى بهزيمته، ثم تنقلت به الأحوال حتى استقل بالملك عام ٥٢٨هـ وامتدت أيامه وعاش خمسًا وأربعين سنة، ومات عام ٥٤٧هـ. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص١٤٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٠٠-٢٠٢.
- حصن بارين أو بعرين: بكسر الراء، وياء ساكنة، ونون، والعامة تطلق عليه بعرين وهو مدنية حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٨١.

(١٠) التاريخ الباهر، ص٦٢.

- حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء لها سور بحجر أبيض وفيه ستة أبواب وفي جانب السور قلعة في أعلاها مسجد وكنيستان. للمزيد عنها، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٢٤-٣٣٢.
- حنا كومنين: تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة والده الكسيوس كومنين عام ١١١٨م، واستمر في الحكم حتى عام ١١٤٣م. حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢١٤.

(١١) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٢؛ أبو شامة: الروضتين، في أخبار الدولتين، ج٢، ص٤٢٦.

(١٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ أجزاء، ج١، ٢، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧، ج١، ص٧٩؛ أبو شامة: الروضتين، ج١،

ص١٣٢، ١٣٣.

(١٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٧٩؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٣٣؛ انظر أيضًا: محمد الصلابي، السلطان الشهيد عماد الدين زنكي، بيروت ٢٠١٠م، ص١٣٠.

(١٤) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٢؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٣٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٧٩.

(١٥) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٢؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٣٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٧٩.

- الفقهاء: مفردها الفقيه، من ألقاب العلماء، وكان هذا اللقب من الألقاب المعظمة. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية بالقاهرة، ج٦، ص٢٢.

- الأوباش: تعني أهل الفساد من العوام الذين عاشوا في ضيق وعسر بالقياس إلى غيرهم من الطبقات المنعمة، وقد استفادوا من منازعات الأمراء، إذا حاول بعض هؤلاء الأمراء أن يكتسب العوام إلى جانبه. سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢م، ص٤٤، ٤٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٦) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٢؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٣٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٧٩.

(١٧) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٢؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٣٣؛ ابو واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٧٩، ٨٠.

(١٨) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٢، ٦٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٨٠، ٨١؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٣٣، ١٤٣.

- الفرات: معناه الماء العذب، ومخرج الفرات فيما زعموا من أرمينية ثم من قالقلا قرب خلاط، ويدور بتلك الجبال حتى يدخل أرض الروم. عنه انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٧٤، ٢٧٥.

(١٩) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٣؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٣٤، ١٣٥؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٨٠، ٨١؛ انظر أيضًا: الصلابي: السلطان عماد الدين، ص١٣١.

(٢٠) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٨١؛ انظر أيضًا:

الصلابي: عماد الدين، ص٣١.

- الوزير: يُعد منصب الوزير من أهم المناصب في النظام الإداري بالدولة الإسلامية، حيث يلي الوزير السلطان أو الملك في المكانة، وينفذ أوامره ويعكس له أحوال شعبه، ويعاون الوزير السلطان في شتى الأمور. للمزيد من التفاصيل عن منصب الوزير ومهامه واختصاصاته، انظر: منال محمد: الوزارة في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة بني سويف، ٢٠٠٧م.

(٢١) الصلابي: السلطان عماد الدين، ص١٣١.

(٢٢) التاريخ الباهر، ص٦٣.

(٢٣) الصلابي: السلطان عماد الدين، ص١٣٢.

(٢٤) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٥٨؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٢٧، ١٢٨.

- دمشق: من أشهر مدن بلاد الشام وأجملها وأحصنها. للمزيد عنها انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٧.
- جمال الدين محمد بوري بن طغتكين، كان ظالمًا سيء السيرة، تولى دمشق لمدة عشرة اشهر ومات عام ٥٣٤هـ. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص١٠٥.
- معين الدين أنر: هو مقدم جيش دمشق امتاز بالشجاعة والتدين وكان كثير الصدقات، وتوفى عام ٥٤٤هـ ودفن بقيتة التي تقع بين دار البطيخ والشامية. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص١٣٨.

(٢٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، ج١١، بيروت ١٩٧٩م، ص٣٦-٣٩؛ ابن القلاسي: ذيل تاريخ دمشق، بيروت ١٩٠٨م، ص٢٦٩-٢٧٣؛ ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٤؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جزءان، ج١، طبعة سابعة، القاهرة ١٩٩٧م، ص٤٦٧-٤٦٨.

- زمرد خاتون: صفوة الملوك بنت الأمير جادلي أخت الملك دقاق صاحب دمشق لأمه وزوجة تاج الدين بوري وأم ولديه شمس الملوك إسماعيل ومحمود، سمعت من ابن الحسن بن قيس، واستحسنت الكتب وحفظت القرآن وبنت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق ثم تزوجها أتابك زنكي فبقيت معه تسع سنين حتى قتل. للمزيد من التفاصيل، انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص١٧٨.
- خاتون : جمعها خاتونات أو خواتين، هي كلمة عربية محرفة عن الكلمة المغولية " قادين "

وذلك دون لقب " الملكة " الذي كان في عصر الفاطميين، وكانت تلقب به الزوجة أو الأم أو الأخت وكان لهن مشاركة في الحكم في بلاد الروس. محمد البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، ص١١٥؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٧٨م، ص٢٦٤، ٢٦٥.

- المقدم: هو موظف يرأس الصناع الفنيين بدار الضرب، وهو المسئول الأول عن جميع مراحل عمليات السبك في دار الضرب. حسنين محمد ربيع: النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة ١٩٩٤م، ص١٠٤، ١٠٥؛ محمد قنديل النقلي: مصطلحات صبح الأعشى، القاهرة ٢٠٠٦م، ص٣١٩.
- أحداث: تعني الشرطة غير الرسمية وكانت تستعمل في الشام خاصة، وهي من العصر الفاطمي وكان من يتولى ولاية الأحداث من العسكريين. القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٠، ص١٦، ٢٢؛ محمد قنديل: مصطلحات صبح الأعشى، ص١٦.
- النظار: مفردها ناظر وهو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها ويرفع إليها حسابها لينظر ما يرد. ابن مماتي: قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، القاهرة ١٩٤٣م، ص٢٩٨م؛ البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، ص٣٤١.

(٢٦) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٥٨؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٢٨.

(٢٧) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٥٨؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٢٨.

(٢٨) أبو شامة: الروضتين، ج١، ص١٢٨.

(٢٩) عن حصار قلعة جعبر، انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٤١؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٤-٢٨٥؛ ابن الأثير: الباهر، ص٧٣، ٧٤؛ انظر أيضًا: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص٤٧٦؛ محمد مرسي الشيخ: عصر الحروب الصليبية، ص٢٥٥.

- قلعة جعبر: تقع على الفرات مقابل صفين التي كانت فيها الواقعة بين معاوية وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وكانت تعرف أولاً باسم دوسر فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر بن مالك فعرفت باسمه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٣.
- المشير: تعني الناصح الذي يؤخذ رأيه، وهي من الوظائف المستحدثة، وصاحبها يلي وظيفة الإشارة، ويكون عادة من يتولاها من كبار الأمراء، ممن يحضرون مجلس المشورة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص٧٠؛ ج١١، ص١٥٣، ١٠٧؛ محمد البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، ص٣١٢.

- برتقش: أصله أفرنجي وكان من المقربين لعماد الدين، إلا أنه حقد على سيده لإساءة تقدمت منه إليه فأسرها في نفسه، وقتله وهو نائم ثم هرب إلى قلعة جعبر وكان صاحبها الأمير عز الدين علي بن مالك فأواه في القلعة وأكرمة. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٤، ٢٨٥.

(٣٠) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص٦٣؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، ص٢٣٥؛ انظر أيضًا: الصلابي: عماد الدين، ص٤١.

(٣١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤١، ٢٤٢.

تولى سيف الدين غازي بن زنكي حكم الموصل، ولم تذكر المصادر شيئا عن تغيره تجاه القاضي الشهرزوري وسوء معاملته.

- الرُخبة: بضم أوله وسكون ثانية، وباء موحدة، تمتاز بالبساتين والقرى، تقع بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧.
- ديار ربيعة: تقع بين الموصل إلى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين، ورأس عين ودنسر والخابور، سميت ديار ربيعة لأنهم كلهم ربيعة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٦٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٢.

- الترسيم: مال تقرضه الدولة لقاء خدمة من قبلها الرسمي. وفي المصطلح المملوكي كان الترسيم عبارة عن تعويق المتهم بمكان من الأماكن ويعين عليه حارس. للمزيد من التفاصيل، انظر: البيومي إسماعيل: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، جزءان، ج١، القاهرة ١٩٩٧م، ص٢٣، ٢٤.

(٣٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٢.

(٣٤) الروضتين، ج٢، ص٤٢٦.

(٣٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٦٦؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص١١٨.

- حماه: مدينة كبيرة عظيمة الخيرات، واسعة الرقعة، حافلة بالأسواق، يحيط بها سور محكم، وبها جامع يشرف على نهرها المعروف بالعاص. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٣٤-٣٤٥.
- حمص: تقع بين دمشق وحلب بها قلعة حصينة على تل كبير. عنها انظر: ياقوت الحموي:

معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٧-٣٥٠.

(٣٦) شذرات الذهب، ج٤، ص٢٤٣.

(٣٧) وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٢.

- الولاية: في التقسيم الإداري بمعنى مديرية أو محافظة في اصطلاحنا المعاصر، وكانت مصر مقسمة إلى أربع عشر ولاية في الوجهين البحري والقبلي، ويشرف على الولاية الوالي، وكانت تسمى أيضًا (عمل). القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٩٢-٣٩٧؛ انظر أيضًا: محمد البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، ص٣٦٢.
- شد الديوان: مهمته مرافقة الوزير والتفتيش على مالية الدواوين وعلى موظفيها وعادته إمرة عشرة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢؛ حسنين ربيع: النظم المالية، ص٨٢٢.

(٣٨) الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٧٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص١٩١.

- ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن قاسط بن دعمي، يحدها من الغرب دجلة إلى بلاد الجبل المطلة على نصيبين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٦١-٥٦٢.
- خِلاط: بكسر أوله، وأخره طاء مهملة. البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعة، طولها أربع وستون درجة ونصف وثلث، وعرضها تسع وثلاثون درجة وثلثان في الإقليم الخامس، وهي قصبة أرمنية الوسطى. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٥-٤٣٦.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص١٩١؛ سنا البرق الشامي، ص٧٢.

(٤٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٢.

- من الجدير بالذكر أن نور الدين محمود خرج عام ٥٦٨هـ إلى أملاك عز الدين قلج أرسلان بن مسعود عازما على حربه وأخذ بلاده منه، وذلك نظرًا لاستنجاد ذي النون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس بنورالدين ضد قلج أرسلان الذي استولى على بلاده، فما كان من نور الدين إلا أن استقبله بحفاوة وكرم ووعده برد بلاده إليه. للمزيد من التفاصيل، انظر: ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٨٩.
- قلج أرسلان: بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق التركي السلجوقي صاحب الروم، امتدت أيامه وكبر في السن وتصرف أولاده في مملكته في حياته، عاش سلطانًا أكثر من ثلاثين سنة وتوفى عام ٥٨٨هـ، وتملك من بعده ابنه غياث الدين. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٩٥.

(٤١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٢؛ الاسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص١٨.

(٤٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص١١٨.

(٤٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٦ جزء، لبنان ١٩٩٢م، ج٦، ص٧٣؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، المجلد الثامن، قسم ١، ٢؛ طبعة أولى حيدر أباد ١٩٥١م، ص٣٤٠.

- الحسبة: من وجوه العدل وأعيانهم من يتولاها تكون يده مطلقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحدث في أمر المكاييل والموازين. للمزيد من التفاصيل عنها انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ أجزاء، طبعة مصورة بالأوفست من طبعة بولاق، ج١، ص٤٦٣، ٤٦٤؛ انظر أيضًا: محمد البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، ص٣٠٣.
- صاحب القلم والسيف معناها من يجمع بين فضيلة القلم (العلم والدراسة) وفضيلة السيف (تعليم فنون الفروسية والقتال) مثال ذلك أولاد ابن شيخ الشيوخ، عنهم انظر: حامد زيان: العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي، القاهرة ١٩٧٨م.

(٤٤) أبو شامة : الروضتين، ج٢، ص٤٢٧، ٤٢٨؛ الأصفهاني: سنا البرق، ص١٠٨.

- البيمارستان: يقال له المارستان والمرستان، وهو مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم، وهو لفظ فارسي مركب من بيمار أي المريض، وستان أي محل، ويقال له بالتركية خسته خانه أي محل المرضى. ويطلق البيمارستان أيضًا على المحل المعد لإقامة المجانين. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ أجزاء، ج١، ق٣، تحقيق: مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٧١م، ص٧١٦، هامس ٦.

(٤٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٤ جزء، طبعة أولى، القاهرة ٢٠٠٠م، ج١٢، ص٢٧٨.

(٤٦) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٧٣.

- شحنكية دمشق: أو الشحنة وهي وظيفة يسمى متوليها صاحب الشحنة وهو رئيس الشرطة والموكل بالأمن في بلد من البلاد. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٣٦٢؛ انظر أيضًا: محمد البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، ص١٩٣.

(٤٧) ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٢٨١؛ أبو شامة: الروضتين، تحقيق: أحمد البيومي، دمشق ١٩٩١م، ق١، ص٣٤٧؛ الأصفهاني: سنا البرق الشامي، اختصار الفتح بن علي البنداري، تحقيق: فتحية النبراوي، القاهرة ١٩٧٩م، ص٢٨.

(٤٨) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص١٦٦، ١٦٧؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٣٨؛ ابن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٢٦٧.

(٤٩) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٠٧.

- عصمة الدين الخاتون بنت الأمير معين الدين أنر زوجة نور الدين ثم صلاح الدين. قامت بوقف المدرسة التي بدمشق للحنفية، وبنت خانقاه للصوفية خارج باب النصر، توفيت عام ٥٨١هـ ودفنت بتربتها في قاسيون على نهر يزيد. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٧٢.

(٥٠) أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص١٦، ١٧؛ الأصفهاني: الفتح القسي، ص١٠.

(٥١) أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص٢٧؛ الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٢٢.

(٥٢) أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص٣١٨.

- الصالح إسماعيل وهو الملك الصالح أبو الفتح إسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي، أوصى له والده بالسلطنة من بعده فلم تتم له وحكم حلب فقط، وكان شابًا دينًا عاقلاً محبًا إلى أهل حلب، مات بمرض القولنج عام ٥٧٧هـ، وحزن عليه أهل حلب واقاموا عليه المآتم وبالغوا في النواح والبكاء. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٥٨.

(٥٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص١٦٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣.

- أتابك: يتكون من لفظين تركيين، أتا أو أطا بمعنى الأب، وبك بمعنى أمير، فيكون المعنى الأمير الوالد. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨؛ محمد عبدالغني الأشقر: أتابك العسكر في القاهرة عصر المماليك البحرية، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٢١.

(٥٤) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص١٩٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣؛ انظر أيضًا: حامد زيان: تاريخ مصر في العصر الأيوبي، القاهرة ٢٠١١م، ص٤٠.

(٥٥) نظرًا لصغر سن الصالح إسماعيل فقد تنافس أمراء نور الدين للوصاية عليه، ودب الخلاف بين اثنين من أقوى أمراء نور الدين وهما شمس الدين بن الداية، وشمس الدين بن المقدم حيث أراد كلاهما أن تكون له الوصاية. عن الصراع الذي حدث انظر: ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص١٩٦، ١٩٧؛ الأصفهاني: سنا البرق، ص٧٣؛ انظر أيضًا: حامد زيان، تاريخ مصر في العصر الأيوبي، ص٣٩؛ ليلى عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٤٣-٤٥.

(٥٦) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص١٦٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٧؛ أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص٣٢٤.

(٥٧) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص١٦٣؛ أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص٣٢٤.

- من الجدير بالذكر أن نور الدين محمود قبل أن يمرض قد أرسل إلى البلاد الشرقية كالموصل وغيرها يستدعي العساكر منها، فسار سيف الدين في عساكره، وفي الطريق علم بخبر موت عمه نور الدين، فعاد إلى نصيبين، فملكها كما استولى على الخابور والرها والرقة وغيرها من بلاد الجزيرة. أبو شامة الروضتين، ج٢، ص٣٢٤، ٣٢٥.

(٥٨) أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص٤٢٦، ٤٢٧؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٤٩.

(٥٩) مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٤٠.

(٦٠) السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص١١٩.

- القاضي الفاضل: أبو علي عبدالرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني ثم العسقلاني ثم المصري محي الدين صاحب ديوان الإنشاء وشيخ البلاغة، ولد عام ٥٢٩هـ قيل إن مسودات رسائله لو جمعت لبلغت مائة مجلد، كان يحب الكتابة، قصد مصر وخدم الأكابر، فلما تملك صلاح الدين مصر استخلصه لنفسه وحسن اعتقاده فيه ولازمه وارتفعت منزلته، توفى عام ٥٩٦هـ. عنه انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٣٢٤-٣٢٧؛ فتحية النبراوي: إنشاءات القاضي الفاضل، طبعة أولى، القاهرة ١٩٨٠م؛ سوسن محمد نصر: القاضي الفاضل وصلاح الدين، القاهرة ١٩٩٠م، ص١٢١-١٣٠.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦١) طبقات الشافعية، ج٦، ص١١٩.

(٦٢) السبكي : طبقات الشافعية، ج٦، ص١٢٠.

- الطواشي: جمعه طواشيه. وهم الخصيان الذين استخدموا في الطباق المملوكية وفي الحريم السلطاني. سعيد عاشور: العصر المملوكي في مصر والشام، القاهرة ١٩٦٥م، ص٤٣٣؛ حامد زيان: العلماء، ص٤٠؛ هامش ٤.

(٦٣) من الجدير بالذكر أن القاضي الفاضل عاد إلى دمشق قبل دخول صلاح الدين، وتوجه إلى دار القاضي كمال الدين الشهرزوري، وطلب مقابلته ولما دخل الخادم، يستأذن كمال الدين توقع القاضي الفاضل أن كمال الدين سوف يرفض مقابلته مثلما فعل هو من قبل، لذلك فضل أن يرحل قبل أن يخبره الخادم بذلك وهو ما حدث بالفعل. السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص١٢٠.

- خوند: بالفتح، لفظ فارسي واستعمل أيضًا في اللغة التركية، ومعناه السيد أو الأمير، ويخاطب به المذكر والمؤنث. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٢٦؛ انظر أيضا: محمد البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، ص١٢٤، ١٢٥.

(٦٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٢٧.

(٦٥) الروضتين، ج٢، ص٣٢٩. عن فتح صلاح الدين لمدينة دمشق، انظر: سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٢٦ ، ٣٢٧، ٣٤٠؛ أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص٣٣٩-٣٤٢؛ انظر أيضًا: ليلى عبدالجواد: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٤٥، ٤٦.

(٦٦) الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص١٠٨؛ أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص٤٢٦، ٤٢٧؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٤٩.

من الجدير بالذكر أن ضياء الدين دخل في خدمة صلاح الدين منذ أن كان بمصر، فرحب به صلاح الدين وأنعم عليه وولاه الوظائف واصطحبه معه إلى بلاد الشام. للمزيد من التفاصيل، انظر: الأصفهاني:-سنا البرق، ص١٠٨؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٤٢٧.

(٦٧) السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص١١٨، ١٢٠.

(٦٨) ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، جزءان، مجلد واحد، القاهرة ١٢٨٥م، ج٢، ص٨٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٤٤.

(٦٩) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٣٤١.

- ابن أبي عصرون: هو قاضي القضاة وفقيه الشام شرف الدين أبو سعد عبدالله بن محمد التميمي الحديثي ثم الموصلي ولد عام ٤٩٢هـ، تفقه بالموصل، ثم رحل إلى بغداد وقرأ القراءات ودرس النحو والفقه، ورجع إلى الموصل بعلوم جمه، ودرس بها وأفتى ثم ولي القضاء لصلاح الدين عام ٥٧٣هـ وله مصنفات كثيرة، وتوفى عام ٥٩٣هـ. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٨٣، ٢٨٤.

(٧٠) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٤٩.

(٧١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٤٤؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٥٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٩٥؛ الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص١٠٨.

(٧٢) مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٤٠، ٣٤١.

(٧٣) الكامل، ج١١، ص٢١٣.

(٧٤) وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٤٢.

(٧٥) سنا البرق الشامي، ص١٠٧، ١٠٨.

(٧٦) الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٤٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص٦٦؛ الأسنوي: طبقات الشافعية،ج٢، ص١٨؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص٢٣٣.

(٧٧) السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص١١٨؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٤٣؛

ابن الجوزي: المنتظم، ج١٨، ص٢٣٣.

- نصبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل من الموصل إلى الشام، بينها وبين الموصل ستة أيام. للمزيد من التفاصيل عنها: انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٣، ٢٣٤.

(٧٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٤٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص٣٦٦؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٦، ص١١٨؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص١٨.

- الرباط: هي دار يسكنها الصوفية، أي أهل طريق الله، فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٤، ص٤٢٧.

(٧٩) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٤٣.

- نائب السلطنة: هو الذي يقوم مقام السلطان في عامة أموره وفي غالبها. للمزيد من التفاصيل انظر: ليلى عبدالجود: " نائب السلطنة في القاهرة في عصر المماليك البحرية "، بحث منشور بالمؤرخ المصري، يصدرها قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الأول، يناير ١٩٨٨م، ص١٥٩-٢٢٥.

(٨٠) سنا البرق الشامي، ص١٠٨.

(٨١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٤٢؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٤٣.

- قرية الهامة: واحدة الهام، وهي كوره واسعة فيها جبل الأق. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٤٤٧.

(٨٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص١١٩.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com